

بين دليل الحدث ودليل التمكن

بين دليل الحدث ودليل التمكن

عبد الصمد بن أحمد السُّلَمي

بين دليل الحدوث ودليل التمكين

معرفة المرض العقديّ وسببه يُعينُ على علاجه

قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - عند كلامه على وقوع الخلط بين معنى الاستغاثة والتوسل من لدن بعض المنتسبين للعلم : « وأريد أن أعرف من أين دخل اللبس على هؤلاء الجهال ؟ فإن معرفة المرض وسببه يعين على مداواته وعلاجه ، ومن لم يعرف أسباب المقالات - وإن كانت باطلة - لم يتمكن من مداواة أصحابها وإزالة شبهاتهم . » الاستغاثة في الرد على البكري (ص 115) .

بين دليل الحدث ودليل التمكن

بين دليل الحدث ودليل التمكن

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلَّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله

{ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون }
{ يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبثَّ منهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيبا }
{ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما }

أما بعدُ : فإنَّ أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد - صلى الله عليه وسلم -، وشرُّ الأمور محدثاتها، وكلُّ محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

بين دليل الحدوث ودليل التمكن

وبعدُ :

فهذه موازنة يسيرة بين مذهب التعطيل القائم على قانون " دليل الحدوث " الفلسفي اليوناني الوثني، وبين " دليل التمكن " الماسوني الكابالي؛ وهما من أعظم أصول الضلال عبر التاريخ، وأصاب تاريخ الإسلام المشرق من شرّهما ما دام قرونا طويلا، فهلكت بسببهما أُم لا تُحصى، والله المستعان.

بين دليل الحدوث ودليل التمكن

ذَهَابُ الدِّينِ يَكُونُ بِالزَّنْدَقَةِ

مُقَدِّمَةٌ أَثَرِيَّةٌ

قال الإمام مَنصُورُ بن المَعْتَرِ السُّلَمي الكوفي - رحمه الله - : « بعثَ اللهُ آدمَ - عليه السلام - بالشرِعة ، فكانَ الناسُ على شريعةِ آدمَ حتَّى ظهرتِ الزَّنْدَقَةُ ، فذهبت شريعةُ آدمَ . ثمَّ بعثَ اللهُ نوحا - عليه السلام - بالشرِعة ، فكانَ الناسُ على شريعةِ نوحٍ ، فما أذهبها إلا الزندقة . ثمَّ بعثَ اللهُ إبراهيمَ - عليه السلام - ، فكانَ الناسُ على شريعةِ إبراهيمَ حتَّى ظهرتِ الزندقة ، فذهبت شريعةُ إبراهيمَ . ثمَّ بعثَ اللهُ موسى - عليه السلام - ، فكانَ الناسُ على شريعةِ موسى حتَّى ظهرتِ الزَّنْدَقَةُ ، فذهبت شريعةُ موسى . ثمَّ بعثَ اللهُ عيسى - عليه السلام - ، فكانَ الناسُ على شريعةِ عيسى حتَّى ظهرتِ الزندقة ، فذهبت شريعةُ عيسى . ثمَّ بعثَ اللهُ محمداً - صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ - بالشرِعة ، فلا يُخَافُ على ذهابِ هذا الدِّينِ إلا بالزَّنْدَقَةِ !! » .

الإبانة الصغرى لابن بطة العكبري (ص / 33) .

أصول الضلال عبر التاريخ

من أمتع التأصيل العلمي ما قاله الإمام ابن القيم - رحمه الله - : « أن هؤلاء المعارضين عن الأدلة السمعية المعارضين لها إذا فعلوا ذلك لم يبق لهم إلا طريقتان :

- إما طريق النظار وهي الأدلة القياسية العقلية .
- وإما طريق الكشف وما يدرك بالرياضة وصفاء الباطن .

بين دليل الحدث ودليل التمكن

وكلُّ من هاتين الطريقتين باطلَةٌ أضعاف حقّها ، وفيها من التناقض والاضطراب والفساد ما لا يحصىه إلا رب العباد .

- ولهذا نجد غاية من سلك الطريق الأولى الحيرة والشك .

- وغاية من سلك الطريق الثانية الشطح .

- فغاية أولئك عدم التصديق بالحق .

- وغاية هؤلاء التصديق بالباطل .

- وحال أولئك تشبه حال المغضوب عليهم .

- وحال هؤلاء تشبه حال الضالين .

- ونهاية أولئك التعطيل والنفي .

- ونهاية هؤلاء الإلحاد والقول بالوحدة والاتحاد ..» الصواعق المرسلة (3 / 1166) .

ومن أمتعه أيضا - وهو مليء بالفوائد - كلام الإمام السلفي ابن أبي العز الحنفي : « قال طائفة من السلف : من انحرف من العلماء؛ ففيه شبهة من اليهود، ومن انحرف من العبّاد؛ ففيه شبهة من النصارى؛ فلهذا تجد :

- أكثر المنحرفين من أهل الكلام من المعتزلة ونحوهم فيهم شبهة من اليهود، حتى إن علماء اليهود يقرؤون كتب شيوخ المعتزلة، ويستحسنون طريقتهم، وكذا شيوخ المعتزلة يميلون إلى اليهود ويُرجّحونهم على النصارى.

- وأكثر المنحرفين من العبّاد من المتصوّفة ونحوهم فيهم شبهة من النصارى، ولهذا يميلون إلى نوع من الزهانية والحلول والاتحاد ونحو ذلك.

بين دليل الحدوث ودليل التمكن

- وشيوخ هؤلاء يذمون الكلام وأهله.
- وشيوخ أولئك يعيبون طريقة هؤلاء، ويصنفون في ذم السماع والوجد وكثير من الزهد والعبادة التي أخذتها هؤلاء». شرح الطحاوية (ص / 525-526).

وفي هذا المعنى ما قاله حاجي خليفة الشهير بكتب جلبي التركي: « والطريق إلى هذه المعرفة من وجهين:

- أحدهما: طريقة أهل النظر والاستدلال .
- وثانيهما: طريقة أهل الرياضة والمجاهدات.

والسالكون للطريقة الأولى إن التزموا ملة من ملل الأنبياء عليهم السلام فهم المتكلمون، وإلا فهم الحكماء المشاؤون.

- والسالكون إلى الطريقة الثانية إن وافقوا في رياضتهم أحكام الشرع فهم الصوفية، وإلا فهم الحكماء الإشرافيون.

فكلّ طريقة طائفتان «. كشف الظنون (1 / 677-678).

لكن كثيرا من البشر يجمع بين الضلالتين؛ لأنّ جميع البشر فيهم نازعان هما : العقل والروح، والوحي نوعان : خبر وأمر؛ فإذا اتبعت العقل دون الخبر من الوحي كان هذا الضلال من باب الظن، وإذا اتبعت الروح دون الأمر من الوحي كان هذا الضلال من باب الهوى؛ وفي هذا يقول الإمام ابن القيم: « إن الكلام في الدين نوعان:

- أمر.

بين دليل الحدوث ودليل التمكن

- وخبر.

- فما عارض الأمر كان من باب الهوى الذي يأمر به الشيطان والنفس.
- وما عارض الخبر كان من باب الظن الذي هو أكذب الحديث.

وهؤلاء لا تجدهم إلا وقد جمعوا بين الأمرين؛ فهم في الإرادات تابعون لأهوائهم، وفي الاعتقادات تابعون لظنونهم، قال تعالى: { إن يتبعون إلا الظن وما تهوى الأنفس ولقد جاءهم من ربهم الهدى } « الصواعق المرسلّة (4 / 1210) ».

ويزيد هذا توضيحا قول شيخ الإسلام ابن تيمية فيمن من كان صوفيا متكلمًا جامعا للضلالتين في اعتقاده في وجود الله سبحانه: « وكثير منهم يجمع بين القولين:

- ففي حال نظره وبحته يقول بسلب الوصفين المتقابلين؛ فيقول: لا هو داخل العالم ولا خارجه.
- وفي حال تعبه وتألهه يقول بأنه في كل مكان، ولا يخلو منه شيء حتى يصرحون بالحلول في كل موجود - من البهائم وغيرها - بل الاتحاد بكل شيء، بل يقولون بالوحدة التي معناها أنه عين الموجودات.

وسبب ذلك: أن الدعاء والعبادة والقصد والإرادة والتوجه يطلب موجودا، بخلاف النظر والبحث والكلام؛ فإن العلم والكلام والبحث والقياس والنظر يتعلق بالموجود والمعدوم، فإذا لم يكن القلب في عبادة وتوجه ودعاء سهل عليه النفي والسلب، وأعرض عن الإثبات، بخلاف ما إذا كان في حال الدعاء والعبادة فإنه يطلب موجودا يقصده، ويسأله ويعبه، والسلب لا يقتضي إلا النفي والعدم؛ فلا يُنفي في السلب ما يكون مقصودا معبودا « مجموع الفتاوى (5 / 272 - 273) ».

والحق المبين هو ما جاء به المرسلون - عليهم السلام -، وهو لا يتأقن للإنسان إلا من معرفة الحق والمحبة له؛ قال شيخ الإسلام ابن تيمية: « منشأ الباطل: من نقص العلم، أو سوء القصد؛ كما قال تعالى: { إن

بين دليل الحدوث ودليل التمكين
يتبعون إلا الظن وما تهوى الأنفس {، ومنشأ الحق: من معرفة الحق والمحبة له، والله هو الحق المبين،
ومحبته أصل كل عبادة « درء التعارض (174 / 7).

أمثلة تطبيقية لأصول الزندقة في الطوائف الضالة المنتسبة للإسلام

طائفة العقلانيين :

قال الإمام أحمد : « أهل الكلام زنادقة » تلبس إبليس (ص / 83).

وقال الإمام الشافعي عن المتكلمين : « إذا سمعت الرجل يقول : الاسم غير المسمى فاشهد عليه بالزندقة
« شرح أصول الاعتقاد للالكائي (2 / 207) .

وقال الإمام أبو يوسف : « من طلب العلم بالكلام تزندق » شرح أصول الاعتقاد للالكائي (1 / 147
(.

وقال الإمام البرهاري : « واعلم - رحمك الله - أنه ما كانت زندقة قط، ولا كفر، ولا شك، ولا بدعة، ولا
ضلالة، ولا حيرة في الدين؛ إلا من الكلام، وأصحاب الكلام، والجدل والمرء والخصومة « شرح السنة (ص / 82).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية : « اشتهر بين المسلمين أن المنطق يجزئ إلى الزندقة « درء التعارض (1/ 218
(.

بين دليل الحدوث ودليل التمكين

وقال أيضا : « بل إن سمعت أو رأيت معرضا عن الكتاب والسنة مقبلا على مقالاتهم [أي : المتكلمين] إلا وقد تزندق أو صار على غير يقين في دينه واعتقاده » الأعلام العلية للبرار (ص / 34).

وألف الإمام أحمد كتابا عن الجهمية بعنوان : " الرد على الجهمية والزنادقة " .

طائفة الوجدانيين :

قال بعض السلف : « من عبد الله بالحب وحده فهو زنديق » العبودية لشيخ الإسلام ابن تيمية (ص / 112).

يقول ابن القيم : « وعامة من تزندق من السالكون فلا عراضه عن دواعي العلم وسيره على جادة الذوق والوجد ذاهبة به الطريق كل مذهب، فهذه فتنة والفتنة به شديدة » مدارج السالكين (1 / 157).

وقال ابن عقيل الحنبلي للصوفية : « أتم زنادقة في زي زهاد، يعتقدون أن الله يُعشَق ويُهَام فيه .. » تلبس إبليس لابن الجوزي (ص / 302).

وقال الإمام الشافعي : « خلّفت ببغداد شيئا أحدثته الزنادقة يُسمّونه : " التغير " ، يصدون به الناس عن القرآن » مجموع الفتاوى (11 / 569).
والتغير : هو الغناء الصوفي.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية : « وعند جماهير المشايخ الصوفية وأهل العلم، أن الحلاج لم يكن من المشايخ الصالحين، بل كان زنديقا » مجموع الفتاوى (8 / 318).

وقال الحافظ الذهبي عن قصيدة ابن الفارض الصوفي التائية الشهيرة : « فإن لم يكن في تلك القصيدة

بين دليل الحدث ودليل التمكن

صرح الاتحاد الذي لا حيلة في وجوده؛ فما في العالم زندقة ولا ضلال « سير أعلام النبلاء (13 / 196) .

وَأَلَّفَ الْعَلَامَةُ الْمُحَدِّثُ الْمُجْتَهِدُ مُحَمَّدُ بْنُ صَفِيِّ الدِّينِ الْبُخَارِيِّ الْحَنْفِيِّ كِتَابًا بِعَنْوَانِ " الصَّاعِقَةُ الْمَحْرَقَةُ عَلَى الْمُتَصَوِّفَةِ الرَّقْصَةِ الْمُتَزَنِّقَةِ " .

وَلَمَّا وَصَّفَ أُمَّةَ الْإِسْلَامِ ابْنُ عَرَبِي الْحَاتِمِي الطَّائِي شَيْخَ وَحْدَةِ الْوُجُودِ بِالزَّنْدِيقِ كَتَبَ أَحَدُ الْمُتَصَوِّفَةِ كِتَابًا بِعَنْوَانِ " تَنْزِيهِ الصِّدِّيقِ عَنْ وَصْفِ الزَّنْدِيقِ " ، وَكَذَبَ؛ بَلْ هُوَ زَنْدِيقٌ مُلْحَدٌ - قَبَّحَهُ اللَّهُ - .

بين دليل الحدوث ودليل التمكين

بين دليل الحدوث ودليل التمكين

والآن نشرع في المقصود فنقول - مستعينين بالله سبحانه وتعالى :-

مذهب التعطيل

قام مذهب التعطيل على أصل كلامي فلسفي من تراث المدرسة الرواقية المشائية الأرسطية؛ وهو " دليل الحوادث " أو " دليل الأعراض "، وهو : الاستدلال بحدوث الأجسام على المُحدث وأزليته، وقد اشترك جميع المعطلة فيه؛ من :

- الفلاسفة
- المعتزلة
- الكلاية
- الأشعرية

فمن غال فيه تماما حتى نفى وجود الخالق والبعث الأخروي وقال بقدم العالم كالفلاسفة.

ومن متوسط في غلوه فيه؛ كالمعتزلة الذين أنكروا الصفات وأثبتوا الذات وكذلك المعاد دون بعض الأشياء

بين دليل الحدوث ودليل التمكن

فيه.

ومن واقع في شبابه؛ كالأشعرية والكلائية وسائر الصفاتية.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : « والأصل الذي بنى عليه نفاة الصفات وعطلوا ما عطلوه حتى صار منتهاهم إلى قول فرعون الذي جحد الخالق، وكذب رسوله موسى في أن الله كلمه: هو استدلالهم على حدوث العالم بأن الأجسام محدثة، واستدلالهم بعد ذلك بأنها لا تخلو من الحوادث، ولم تسبقها، وما لم يخل من الحوادث ولم يسبقها فهو حادث » الفرقان بين الحق والباطلان (ص / 379).

وقال أيضا عن المعطلة ومقالاتهم : « وإنما أوقع هذه الطوائف في هذه الأقوال ذلك الأصل الذي تلقوه عن الجهمية؛ وهو : أن لم يخل من الحوادث فهو حادث، وهو باطل عقلا وشرعا، وهذا الأصل فاسد مخالف للعقل والشرع، وبه استطالت عليهم الفلاسفة الدهرية؛ فلا للإسلام نصروا، ولا لعدوه كسروا، وسلطوا عليهم وعلى المسلمين عدوهم من الفلاسفة والدهرية والملاحدة بسب غلطهم في هذا الأصل الذي جعلوه أصل دينهم، ولو اعتصموا بما جاء به الرسول لوافقوا المنقول والمعقول، وثبت لهم الأصل؛ ولكن ضيعوا الأصول فحرموا الوصول، والأصول اتباع ما جاء به الرسول. » الفرقان بين الحق والباطلان (ص / 494).

وقال أيضا مبينا شيئا من آثار هذا الأصل : « وهذه الحجة هي التي أوقعت الجهم بن صفوان في زعمه: أن نعيم الجنة منقطع، مع قوله بنفي الصفات. وهي التي أوقعت أبا الهذيل في قوله: بفناء حركات أهل الجنة والنار، مع قوله أيضا بنفي الصفات. وهي التي أوقعت سائر المعتزلة وغيرهم في القول: بأن القرآن مخلوق، وفي إنكار رؤية الله في الآخرة، ونفي الصفات وغير ذلك.

وهي التي أوقعت أبا المعالي في مسألة الاسترسال. إلى أمور أخرى يطول وصفها، وتسلب بسببها من تسلط من المتفلسفة على أهل الملة لما رأى هذه الحجة

بين دليل الحدوث ودليل التمكن

التي جعلوها أصل أصول دينهم، ورأى ما فيها من الاضطراب « مسألة حدوث العالم (ص / 51).

واختلافهم في التعطيل بين غلو فيه وضعف في تطبيقه راجع إلى حدّ الجسم عندهم: فالفلاسفة يجعلونه مكونا من الهولي والصورة، وعند المعتزلة الذي تقوم به الأبعاد الثلاثة من طول وعرض وارتفاع، والأشعرية يرونه المركب من الجواهر الفردة .

ولأجل أن يخالف المعتزلة الفلاسفة في قولهم بأزلية العالم ونفي البعث الأخروي اخترعوا مسمى " الجوهر الفرد "، وحقيقته أنه موجود ليس بموصوف يحمل أعراضا، فلا يتحيز ولا ينقسم ولا تظهر فيه الأبعاد الثلاثة ولا غيرها من صفات الجسم، وذلك ليثبتوا البعث وإعادة الأجسام، وزعموا أن لم يثبت الجوهر الفرد فهو كافر، وتابعهم على ذلك بعض الأشاعرة؛ لأن الجواهر الفردة في زعمهم هي التي يجمعها الله عز وجل يوم النشور.

لكنهم تناسوا عمدا أو نسوا أنّ مسمى " الجوهر الفرد " ينطبق على وصف الإله عندهم، فلذلك تجدهم يقولون : « ليس بجوهر ولا عرض ولا... » لكنهم لا يقولون: « ليس بجوهر فرد » .

والصواب أن الأجسام تنقسم حتى تستحيل، ولا يوجد شيء اسمه " الجوهر الفرد " الذي لا يقبل الانقسام، وهذا ما أثبتته العلم الحديث بانفجار القنبلة الذرية، وقد سبق لهذه الحقيقة شيخ الإسلام ابن تيمية - رضي الله عنه -؛ فقد قال : « كل موجود لا بد أن يتميز منه شيء عن شيء؛ فلا يُتصوّر وجود جوهر لا يتميز منه شيء عن شيء، لكن إذا تصدّرت الأجسام استحالت، وقد لا تقبل الانقسام الفعلية، بل إذا قُسِّمَتْ استحالت؛ كما في أجزاء الماء فإنها تصير هواءً، فهي وإن كان يتميز منها شيء عن شيء، لكن ليس لها من القوة ما يحتمل الانقسام الفعلي، بل تستحيل » درء تعارض العقل والنقل (4 / 186) .

والأفصل ضلالهم واحد، وهي المناداة بتعظيم العقل وتقديمه على النقل، واعتباره إله السعادة؛ فالشرع

بين دليل الحدوث ودليل التمكن

تابع للعقل لا العكس؛ ولذلك قال سقراط : « الفلسفة: البحث بِوَسَاطَةِ النَّظَرِ العقلي عن حقائق الأشياء، وعن الخير والفضيلة » الفلسفة الإغريقية محمد غلاب (1 / 163) بواسطة الاتجاهات الفلسفية اليونانية لأحمد بن سعود الغامدي (ص / 28).

وطريقة نيل المعارف العقلية عند هؤلاء يكون بالنظر والاستدلال، وبناء العلوم على طريقة المقدمات والنتائج المرتبة ترتيباً عقلياً، وهي ما يسمونه بـ: " الفلسفة العلمية ".

وذلك أنهم كما يقول الآمدي الأشعري عن المعتزلة مثلاً: « أنهم حصروا العالم في الجواهر والأعراض، ثم قصدوا لإثبات الحركة والسكون أولاً، ثم لبيان حدوثها ثانياً، ثم لبيان تنهايتها ثالثاً، ثم لبيان امتناع تجرد الجواهر عنها رابعاً، ثم بنوا على ذلك أن العالم لا يسبق الحوادث، وكل ما لا يسبق الحوادث فهو حادث » غاية المرام (ص / 243).

وهذا أثر على تقريراتهم العقدية، فالمعتزلة ما نفوا القدر إلا بغلوهم في إثبات الأسباب، وأن النتائج لا بد لها من مقدمات عقلية.

هذه الضلالة دام ظهورها أكثر من عشرة قرون، وجرت على المسلمين بسبب تأثر بعضهم بها الويلات التي ما زالنا نعاني منها إلى اليوم.

وهذه العقيدة أصلها الفلسفي هو عدم الإيمان بما وراء الطبيعة إلا بما هو مبني على أصل " دليل الحوادث " الذي أجمع هؤلاء على كونه الوسيلة الوحيدة للبحث في " الميتافيزيقيا "، وغلوا فيه غُلُوًّا جعلوا من جاهله المعرض عن النظر والاستدلال كافراً؛ كما يقوله بعض الأشعرية والمعتزلة.

قال الإمام ابن القيم عن غلو هؤلاء في " دليل الحدوث ": « زعموا أن من لم يعرف ربه من تلك الطريق مات ولم يعرف له ربا، ولم يقر بأن له إلهاً خالقاً، وزادوا في الافتراء والكذب والبهت، فزعموا أن إيمان جبريل وميكائيل والملائكة المقربين وجميع المرسلين مبني على هذه الطريقة » الصواعق المرسلة (4 /

وهؤلاء الفلاسفة وأشباههم من المتكلمين وإن كان يظهر منهم شيء من الإيمان بما وراء الطبيعة؛ فإنه إيمان غير عقلي، يتجلى في نظرهم للإله بأنه محرك العالم؛ لكنه غير معقول وغير مدرك، ولا يصح وصفه بصفات المحدثات، فرجع آخر معتقدهم إلى أوله!

قال شيخ الإسلام ابن تيمية عن حقيقة مذهبهم : « أثبتوا واجب الوجود أو القديم أو الصانع: هم لم يثبتوه؛ بل حججهم تقتضي نفيه وتعطيله، فهم نافون له لا مثبتون له » مجموع الفتاوى (16 / 451-452).

وهذا ما تنبه له أهل السنة قبل شيخ الإسلام؛ فهذا الإمام ابن عبد البر المالكي (ت 463 هـ) يقول عن نفاة الصفات في كتابه " التمهيد " : « وأما الجهمية والمعتزلة والخوارج فكلهم ينكرها، ولا يحمل منها شيئاً على الحقيقة، ويزعمون أن من أقر بها مُشَبَّهٌ، وهم عند من أقر بها نافون للمعبود » مختصر العلو (ص / 269).

وذلك أن المعلم الأول " أرسطو " نظر إلى حدوث الحوادث في العالم وفكر فيها؛ لأنه يعتقد أزلية العالم، فخرج بنتيجة أن الخالق الذي يعبرون عنه بـ: "المحرك الأول " أو " العلة الفاعلة " هو قوة سرت في العالم فأحدثت الحوادث في الأزل وانقضت؛ ولذلك يسمون إلههم بـ: "القديم "؛ ولذلك يقولون في وصفه؛ كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية : « قال سقراط وأفلاطون وأرسطو : إن الباري لا يعبر عنه إلا بهو فقط، وهو الهوية المحضة غير المتكثرة، وهو الحكمة المحضة والحق المحض، وليست لله صورة مثل الصورة التي تكثر في العنصر، وهو الأيس الذي لا يحيط به الذهن ولا العقل، ولا يجوز عليه التغير..... الخ » درء التعارض (2 / 159 - 160).

وتعبرهم هذا بوصف الإله بـ " القديم " تعبير دقيق على ما يعتقدونه؛ إذ مضمونه نفي الديمومة للإله، فهو يبحث عن المحرك الأول وليس عن الخالق الأول الذي ليس قبله شيء والآخر الذي ليس بعده شيء الذي أنشأه من عدم، وافترض فيه أرسطو أنه لا يعقل ولا يدرك وليس له محرك قبله، وإلا لزم الدور، فلو

بين دليل الحدوث ودليل التمكن

جئت بصفة معقولة معروفة لكنت مشبها له بالحوادث، والحوادث لا تحركها في الأزل الحوادث.

ومن أمثلة الآثار السخيفة لهاته الفكرة الأرسطية هي مسألة " العلم الإلهي بالجزئيات دون الكلّيات " عند الفلاسفة والمتكلمين؛ وفي هذا يقول ابن سينا مستندا إلى ذلك الفكر الأرسطي التافه: « الواجب الوجود يجب أن لا يكون علمه بالجزئيات علما زمانيا، حتى يدخل فيه الماضي والمستقبل؛ فيعرض لصفة ذاته أن تتغير » الإشارات (ص / 295).

ولما دخلت الفكرة على المسلمين حاول المتأثرون بها تطويعها لتتوافق مع أصل الإسلام في إثبات وجود الله سبحانه وتعالى، فصارت تسمى " دليل الحدوث "، ويقصدون بالحدوث : الخلق الأول من عدم؛ لكنهم التزموا لازمها أن المحدث لا يُوصَفُ بصفة في المحدث، وهذا عند الفلاسفة، وأضاف المتكلمون من المعتزلة والأشعرية قيودا أخرى وطوّلوها وعقّدوها، وإلا فإنّ الوضع الحقيقي لها هو في التحرك والتغير في عناصر الكون ومن مُحَرَّكها أولاً، وليس في خلق الكون من عدم.

ومن أمثلة التطويل والتعقيد ما قاله أبو الحسين البصري المعتزلي في كتابه " غرر الأدلة " كما نقل عنه شيخ الإسلام ابن تيمية : « قال : وليس أحد يثق بصحة ما جاءت به الرسل إلا بعد المعرفة بصدقهم، ولا تحصل المعرفة بصدقهم إلا بالمعجزات التي تميزهم عن غيرهم، وليس تدل المعجزات على صدقهم إلا إذا صدرت ممن لا يفعل القبيح؛ لكي يؤمن أن نصدق الكذابين، وليس يؤمن أنه لا يفعل القبيح إلا إذا عرف أنه عالم بقبحه عالم باستغنائه عنه، ولا يعرف غناه إلا بعد أن يعلم أنه غير جسم، ولا يعرف أنه غير جسم إلا إذا عرف أنه قديم، ولا يعلم أنه عالم بكل قبيح إلا إذا علم أنه عالم بكل شيء، ولا يعلمه كذلك إلا إذا علم أنه عالم لذاته، ولا يعلمه كذلك إلا إذا علم أنه عالم، ولا يعلم أنه يثيب ويعاقب إلا إذا علم أنه قادر حي، ولا يعرف موصوفا بهذه الصفات إلا إذا عرفت ذاته، وإنما تعرف ذاته إذا استدلت عليها بأفعاله؛ لأنها غير مشاهدة ولا معروفة باضطرار، ولا طريق إليها إلا أفعاله؛ فيجب أن نتكلم في هذه الأشياء لنعلم صحة ما جاءت به الرسل، ونمثله فنكون آمنين في المعاد » درء التعارض (33 / 5).

بين دليل الحدوث ودليل التمكين

وظنَّ البعض أن " دليل الحوادث " هو الذي يؤدي في النهاية إلى التعطيل التام والقول بأزلية العالم، وهذا فيه نظر؛ بل الصواب هو العكس، وهو : أن دليل الأعراض جاء من القول بقدم العالم؛ لأن من اخترعه من فلاسفة اليونان دهرية ملاحدة وثنيون.

والصواب هو أن وجود الله سبحانه وتعالى فطري لا يحتاج إلى دليل الحدوث، وأن الاستدلال لوجوده بالمحدثات من عدم هو الذي يصح، وهو الذي يسميه أهل السنة بـ " دليل الخلق "، ودليله قوله تعالى : { أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون }، وليس الاستدلال بحدوث الحوادث وطروء التغير عليها، وهناك أدلة أخرى على توحيد الربوبية ليس هذا محلها.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: « وإثبات الصانع له طرق تكاد تخرج عن الحصر؛ كلّها أبين وأظهر من إثبات حدوث العالم.

وإثبات حدوث العالم له طرق أبين من إثبات حدوث الأجسام - لو كان طريقا صحيحا - لما فيه من التنازع والدقة؛ فكيف وهو أيضا طريق فاسد عند الأنبياء وأتباعهم، وعند أهل الفطر والعقول السليمة، وعند من خالفهم من الفلاسفة الإلهيين والطبعيين؛ كالمشائين أتباع أرسطو وأمثالهم. وبالجملة فطرق العلم بإثبات الصانع كثيرة؛ كلّها أبين وأوضح من هذه الطريق، وهي براهين قاطعة لا تحتمل النقيض، فلا حاجة في الإقرار بالصانع إلى العلم بحدوث العالم المبني على حدوث الأجسام، بل ولا إلى العلم بحدوث العالم ابتداء.

ولهذا لم يثبت العلم بالصانع بهذه الطريق؛ بل بالطرق المعروفة فيه، وما ذكرناه من قوله: { أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون } من أوجز الطرق وأظهرها « مسألة حدوث العالم (ص / 54).

و« جماع الفرقان بين الحق والباطل، والهدى والضلال، والرشاد والغي، وطريق السعادة والنجاة، وطريق الشقاوة والهلاك: أن يُجعل ما بعث الله به رسله، وأنزل به كتبه هو الحق الذي يجب اتباعه، وبه يحصل الفرقان والهدى، والعلم والإيمان، فيُصدَّق بأنه حقٌّ وصدِّق، وما سواه من كلام الناس يُعرض عليه؛ فإن وافقه فهو حقٌّ، وإن خالفه فهو باطل.

بين دليل الحدوث ودليل التمكين

وإن لم يعلم: هل وافقه أو خالفه؟ لكون ذلك الكلام مجملاً لا يُعرَفُ مراد صاحبه، أو قد عُرِفَ مراده، ولكن لم يعرف: هل جاء الرسول بتصديقه أو تكذيبه؟ فإنه يُمَسِّكُ؛ فلا يتكلَّمُ إلا بعلم.

والعلم: ما قام عليه دليل، والنافع منه ما جاء به الرسول، وقد يكون قد عُلِمَ من غير الرسول؛ لكن في أمور دنيوية مثل الطب والحساب والفلاحة والتجارة، وأما الأمور الإلهية والمعارف الدينية؛ فهذه العلم فيها مأخذه عن الرسول، فالرسول:

- أعلم الخلق بها.
- وأرغبهم في تعريف الخلق بها.
- وأقدرهم على بيانها وتعريفها.

فهو فوق كل أحد في العلم والقدرة والإرادة، وهذه الثلاثة بها يتم المقصود.

ومن سوى الرسول :

- إما أن يكون في علمه بها نقص أو فساد.
- وإما أن لا يكون له إرادة فيما علمه من ذلك، فلم يُبَيِّنْهُ إما لرغبة، وإما لرهبة، وإما لغرض آخر.
- وإما أن يكون بيانه ناقصاً؛ ليس بيانه البيان عمّا عرفه الجنان « الفرقان بين الحق والباطل » لشيخ الإسلام ابن تيمية (ص / 458 - 459).

بين دليل الحدوث ودليل التمكن

مذهب التمكن

وقامت دعوة التمكن في عصرنا الحاضر على أيدي المحافل الماسونية المتصلة بالمدرسة الفلسفية الإشرافية الأفلوطينية؛ نسبة إلى " أفلوطين السكندري (ت 270 نصراي) " ، القائمة على النظرة الغنوصية للشواهد، وهي مبنية على عدم الترتيب العقلي للعلوم والمعارف، وإنما تنال عن طريق المجاهدة وتعذيب النفس ومنعها من الشهوات، وعليه تفيض المعارف فيضا وإلهاما، ويسمونها " الفلسفة العملية " .

والترتيب العقلي للمقدمات والنتائج إنما يكون في طريقة المجاهدة لنيل المعرفة، وليس في المعارف والغايات في حد ذاتها، ولذلك يأتون بعقائد الجبرية ونفي الأسباب في النتائج؛ كما يقول بعض الإخوانية: « نستقيم فيقدّر الله استقامة حكامنا » ، ويستدلون - شططا - لذلك ببعض الآثار؛ مثل : « كما تكونوا يولى عليكم » ، أي : أن التمكن يفيض فيضا ربانيا من باب « حسبه من سؤالي علمه بحالي » .

وربما قطعوا طريق الترتيب العقلي بين النتائج والمقدمات في نصف الطريق بسبب ما لاح لهم من نتائج؛ فالغاية هي القصد، ولا تضر الوسيلة حينها؛ وهو ما يُسمى عند الصوفية : « إسقاط التكليف » .

ويظهر الغلو في استخدام الأسباب أن الغنوصيين على اختلاف طوائفهم من قبلية وبوذية وهندوسية فيدائنية، ومن الطوائف التي تنتسب للإسلام من إسماعيلية ونصيرية ودروز وجعفرية وصوفية وغيرها تسلك طريق الشعوذة بأساليبها القديمة، وقد ساهم الإخوانية في ذلك كما هو عند الإخواني صلاح الراشد صاحب كتاب " المنطلق والعوائق " في قوله بـ " نظرية الجذب " للفلقة الجماهير حول الإخوان المفلسين، واستعملوا أيضا الشعوذة بأساليبها العصرية مثل " التنمية البشرية وتطوير الذات " وغيرها من الأفكار الوثنية.

وهي في الأصل تنادي بفكرة الخلود والسمو الروحي، طبقا لمعتقد الإشرافية في أن السمو والسعادة يكون بالعاطفة والروح لا بالشرع ولا بالعقل؛ فالشرع والعقل تابعان للروح لا العكس؛ ولذلك قال

بين دليل الحدوث ودليل التمكين

الجرجاني في تعريف الفلسفة : « هي التشبّه بالإله بحسب الطاقة البشرية لتحقيق السعادة الأبدية »
نقلا عن: نظرات عقديّة في تاريخ الفلسفة لعليّ الدخيل الله، ضمن مجلّة جامعة الملك سعود م 19 (ص /
690).

ولذلك فما استحسنته الروح فهو حسن ولو كان باطلا، ولا شكّ أن الروح تستحسن الرفعة والعلو في الأرض، بل هي سمة إبليس الموسوس بهاته العقائد الباطلة، وهو الذي استكبر عن الحقّ ورفض السجود لآدم عليه السلام.

وهذا الصوفي الملامتي الذي يرضى بالذل والهوان ما يبين نفسه إلا ليكون ربّاني الخصال يقول للشيء كن فيكون، وقل مثله في حكاية صلب المسيح عليه السلام؛ فالنصارى يزعمون أن الإله عرض نفسه للهوان والضرب ثم الصلب لأجل الغاية الكبرى وهي عتق البشرية من الخطيئة التي يعجز من ضربه وصلبه من البشر وغيرهم أن يأتوا بها.

ويجعلون تلك المجاهدات في سبيل نيل الغايات هي الطريق الوحيد لنيلها، وأنّ أي تفريط فيها يؤدي إلى نتائج عكسية، وأن من شروط نيل الغايات هو التجرد التام عن الشهوات والرغبات، يقول أفلوطين السكندري مبينا كيفية السمو الروحي لمشاهدة الحق : « من أراد أن يرى الإنسان الحق الأول فينبغي أن يكون خيرا فاضلا، وأن يكون له حواس قوية لا تنجس عند إشراق الأنوار الساطعة عليها..» نظرية الإنسان الكامل عند المسلمين (ص / 48).

ويقول أفلوطين أيضا: « يجب أن تكون النفس خلواً من كل صورة؛ لكيلا يمنعها مانع من أن تمتلئ، وتستنير بالوجود الأول » أفلوطين والنزعة الصوفية (ص / 385)، ويقصد بالخلو من الصور: الصور الخارجية من شهوات وملهيات تملأ التفكير عند التأمل، وهذا لا يتأتى إلا بالتخلي عنها قبل التأمل.

فالنتائج تختلف من طائفة غنوصية لأخرى، حسب الغرض من المجاهدة : فاليهودي مجاهدته للتمكين العالمي والاستعداد لظهور " المسيح المخلص "، والصوفي مجاهدته لنيل وحدة الوجود، والنصارى

بين دليل الحدوث ودليل التمكين
يزعمون أن الإله أهين وُصِّلَ لأجل مُخو الخطيئة الموروثة من عهد آدم، وهكذا.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رادًا على قول الشاذلي الصوفي في حربه - والصوفية من أشهر الطوائف الغنوصية- : [نسألك العصمة في الحركات والكلمات والإرادات والخطرات ؛ من الشكوك والظنون والأوهام الساترة للغيوب عن مطالعة القلوب] : « ولكن هؤلاء الذين يقصدون بالعبادة العلو في الأرض ، والتشبه بالإله ، كما يقوله المتفلسفة : إن الفلسفة هي التشبه بالإله على قدر الطاقة ، يقعون في أمور من هذا الباب - يقصد : سؤال العصمة ! - « الرد على الشاذلي (ص 20) .

وقال شيخ الإسلام أيضا : « ولهذا يوجد كثير من السالكين لا يطلبون التقرب إلى الله ، وطلب رضوانه ورحمته والنجاة من عذابه ، بل إنما مطلوبهم نوع من المكاشفة والتأثير ، فيطلبون علما يستعملون به على الناس ، أو قدرة يستعملون بها على الناس ، وذلك من باب إرادة العلو في الأرض والفساد ، فيعاقبهم الله بنقيض قصدهم.

وكرامات أولياء الله تجيء ضمنا وتبعًا ؛ فإنهم يقصدون وجه الله ، فتجيء المكاشفات والتأثيرات تبعًا لا يقفون عندها ، ولا تكون هي أكبر همهم ولا مبلغ علمهم .» الرد على الشاذلي (ص 24) .

واعتنى بها من اليهود " الكابالية الماسون" ، وهي طائفة يهودية تقوم عقيدتها على الباطنية في نصوص التوراة، وتجعل من الرمز منهاجا لتفسير النصوص ، وهم الطائفة التي لها الظهور الأقوى من بين اليهود حاليا.

وبما أن أعظم عقيدة عند اليهود هي السيطرة والهيمنة العالمية، ويجعلون الوحي لا يهتم إلا بهذا الأصل " التمكين " ، وأن إسرائيل شعب الله المختار هم أحق الناس بقيادة العالم، فإن القارئ لنصوص التوراة المحرفة يجدها كلها تركز على هاته الفكرة، وأن المصائب التي تحلّ بهم كلها هي عدم " التمكين " ، وأن أي مصيبة أخرى لا تساوي شيئًا، وأنهم إذا تمكنوا شيئًا ما فذلك نعمة من الرب وأنه راض عنهم، ولذلك استحلوا معاملة الأميين - المخالفين لليهود - بكل القبائح كسرقة ماله أو أخذه بالربا وقتله واحتلال بلاده.

بين دليل الحدث ودليل التمكن

ويتجلى الفكر الجبري في النتائج عند اليهود هو أن الهيكل لا يُبنى إلا عند ظهور " المسيح المنقذ "، وأن اليهود مهما سيطروا على العالم سيقون مُخفّين عقيدتهم حتى يظهر، مع أنه بإمكان اليهود في أي وقت بناء الهيكل، لكنهم لا يفعلون.

وظهرت للمسلمين على يد جمال الدين الأفغاني، وجمال الدين الأفغاني هذا ماسوني كاثولي رافضي على عقيدة البهائية في أن النبوة تكتسب بالرياضات والمجاهدات، قال الشيخ مقبل الوادعي : « بالأمس كان يُلقَّب جمال الدين ومحمد عبده بالإمامين، واليوم عُرفا بالماسونيين » الصحيح المسند من دلائل النبوة (ص / 10).

كما أن جمال الدين الأفغاني هذا دسيصة يهودية باسم الإصلاح؛ كالديسية في النصرانية باسم الإصلاح مارتن لوثر مؤسس البروتستانتية؛ يقول مصطفى صبري التركي الحنفي أحد أتباع الأفغاني عن دور الأفغاني وتلميذه محمد عبده : « فلعله وصديقه أو شيخه جمال الدين أراد أن يلعبا في الإسلام دور " لوثر وكالفين " زعمي البروتستانت في المسيحية » كتاب موقف العقل والعلم العالم من رب العالمين وعبادة المرسلين (1 / 144).

وتتجلى خدمة مارتن لوثر لليهود باسم الإصلاح في النصرانية هو ضمّ أسفار العهد القديم إلى أسفار العهد الجديد عند النصارى؛ حتى تتسرّب معتقدات اليهود للنصارى، وبها يصبحون خدماً لأغراض اليهود في بناء الهيكل على أرض الميعاد؛ كما نراه اليوم من خدمة أمريكا النصرانية لهم، وقد ألّف مارتن لوثر ترسيخاً لهذه الفكرة كتاب " عيسى ولد يهوديا !! "

وما ذكره مصطفى صبري على وجه الترجيح حقيقة لا تقبل الشك ظهرت عبر الأزمنة؛ سواء عن الأفغاني نفسه أو عمّن تأثر به؛ فهذه حركة الإخوان المسلمين - وهي شجرة ما بذر الأفغاني - يقول عنها العلامة المحدث أحمد محمد شاكر : « حركة الشيخ حسن البنا وإخوانه المسلمين الذين قلبوا الدعوة الإسلامية إلى دعوة إجرامية؛ يُنفق عليها الشيوعيون واليهود، كما نعلم ذلك علم اليقين » شؤون التعليم والقضاء (ص /

« ولليهود عبر تاريخ الديانتين - الإسلام والنصرانية - إفسادان : الأول على يد بولس شاؤل وعبد الله بن سبأ، والثاني : - وهو الأخطر؛ لأنه باسم الإصلاح - على يد مارتن لوتر والأفغاني «.

وقد كان هذا الأفغاني يشيد بالماسونية ويُصرّح بالانتساب إليها؛ كما تجده في مجموع مؤلفاته التي جمعها المفكر الإخواني المعتزلي محمد عمارة المصري بعنوان " الأعمال الكاملة لجمال الدين الأفغاني ".

وفي هذا الأفغاني ومحمد عبده تلميذه يصدّق قول العلامة ابن الجوزي الحنبلي : « وكَم من زنديق في قلبه حقدٌ على الإسلام خرج فبالغ، واجتهد فزخرف دعاوى يُلقي بها من يصحبُهُ، وكان غورٌ مقصده في الاعتقاد الانسلاَل من رِبقة الدِّين، وفي العمل نيلُ اللذاتِ واستباحةُ المحظورات « تلبّيس إبليس (ص / 101).

وللمزيد عن حقيقة الأفغاني الماسونية وكون حركة الإخوان المفلّسين نشأت مما زرعه الأفغاني لما كان في مصر؛ ينظر كتاب " التطابق بين الشيعة الرافضة وفرقة الإخوان المسلمين وصفحات من تاريخهم " للشيخ جمال الحارثي، ومنه أفدت بعض النقولات، كما يُستفاد من كتاب " دعوة جمال الدين الأفغاني في ميزان الإسلام " لمصطفى فوزي غزال، وكتاب " الضلال المبين من كتب الإخوان المسلمين " لأمين سعد زغلول.

وتبع جمال الدين الأفغاني على ذلك منظمات كونت مدارس عدة :

- الرافضة : وقد قامت دولتهم بمساعدة فرنسا النصرانية في إيران على يد الخميني، وللخميني عناية بكتب سيد قطب ومعجب بفكرة وحدة الوجود مع أنه رافضي مجوسي.

بين دليل الحدث ودليل التمكين

- الإخوان المجرمون : بقيادة حسن البنا والمرشدين من بعده؛ وهي فروع ينظم تحتها : البنائية والسرورية والمميسة وغيرها. وحسن البنا ماسوني التوجه، وله من اسمه " البنا" دليل على ذلك؛ فالماسون هم " البناؤون الأحرار "، ووالده وجميع إخوته ماسون كما شهد أخوه جمال البنا؛ فقد قال عن منزلهم : « منزل ليبرالي كل واحد له اتجاه، لا أحد يسأل أحداً عما يفعل » الإخوان المسلمون بين الإفلاس والابتداع (ص / 111) .

- الإباضية : وقائدها الروحي أحمد الخليلي مفتي عمان، وأعوانه في ليبيا و تونس والجزائر، وله كتابات تدل على اعتناقه لفكرة " التمكين "، واعتناؤه بكتب سيد قطب معروف مشهور، وفرحه بطعن سيد قطب في عثمان - رضي الله عنه - وإشادته به في ذلك.

فهاته الفرق من أهل البدع والضلال تأثرت بها في هذه الناحية على تفاوت بينها وبين أفرادها.

وقد رفع رايتها قبل أن تتلقفها هاته الحركات مجموعة من المفكرين والعلماء من تلاميذ الأفغاني وأتباعهم؛ كحمد عبده ورشيد رضا والكواكبي والقاسمي وبهجت البيطار ومحمد كرد علي وطاهر الجزائري ومحب الدين الخطيب ومصطفى لطفي المنفلوطي والطاهر بن عاشور وجمعية العلماء الجزائريين وغيرهم كثير بحسن نية غير مدركين ما ورائها، أو بسوء نية؛ وهم قليل.

وهاته الضلالة دام ضررها على المسلمين أكثر من قرن، أي : منذ إيقان القوى الاستعمارية " الاستدمارية " باستحالة القضاء على الإسلام وأهله.

فههي إذن حرب على الإسلام لكنها بطريقة عكسية؛ وهي الحرب بسلاح الوحدة الإسلامية لتدمير الوحدة الإسلامية، وتدمير لتحكيم الشريعة باسم تحكيم الشريعة، وحرب على الإصلاح والسلفية باسم الإصلاح والسلفية، وفي الأخير - كما حدث في أكثر من دولة مسلمة - تفوز الليبرالية التي يريد اليهود نشرها في العالم تمهيدا لظهور " المسياه = المسيح الدجال ". يقول المؤرخ الإنكليزي " أرنولد توينبي " : « إن الوحدة الإسلامية نائمة، لكن يجب أن نضع في حسابنا أن النائم قد يستيقظ » كتاب الإسلام

بين دليل الحدث ودليل التمكين

والغرب والمستقبل (ص / 73).

يقول محمد رشيد رضا عن مجلة " العروة الوثقى " للماسوني الراضي جمال الدين الأفغاني: « ظفرت يدي بنسخ من جريدة "العروة الوثقى" في أوراق والدي، فلما قرأت مقالاتها في الدعوة إلى الجامعة الإسلامية، وإعادة مجد الإسلام وسلطانه وعزته، واسترداد ما ذهب من ممالكه، وتحرير ما استعبد الأجانب من شعوبه، أثرت في قلبي تأثيراً دخلت به في طور جديد من حياتي، وأعجبت جد الإعجاب بمنهج تلك المقالات في الاستشهاد والاستدلال على قضاياها بآيات من الكتاب العزيز، وما تضمنه تفسيرها مما لم يحوِّم حوله أحد من المفسرين على اختلاف أساليبهم في الكتابة، ومداركهم في الفهم، وأهم ما انفرد به منهج "العروة الوثقى" في ذلك ثلاثة أمور:

- أحدها: بيان سنن الله تعالى في الخلق ونظام الاجتماع البشري، وأسباب ترقى الأمم وتدليها، وقوتها وضعفها.

- ثانيها: بيان أن الإسلام دين سيادة وسلطان، وجمع بين سعادة الدنيا وسعادة الآخرة، ومقتضى ذلك أنه دين روحاني اجتماعي، ومدني عسكري، وأن القوة الحربية فيه لأجل المحافظة على الشريعة العادلة، والهداية العامة، وعزة الملة.

- ثالثها: أن المسلمين ليس لهم جنسية إلا دينهم، فهم إخوة لا يجوز أن يفرقهم نسب ولا لغة ولا حكومة « تفسير المنار (1 / 11).

تأمل قوله : « إعادة مجد الإسلام » فهل كان الأفغاني الماسوني يسعى لإعادة مجد الإسلام أم لتخريبه - قبحه الله -؛ كما فعل بالدولة العثمانية التي يتباكي عليها الإخوانية الآن؟ وتأمل قوله : « دخلت به في طور جديد من حياتي » حيث يدلّ على أنّ فطرة محمد رشيد رضا مُسخت بسبب مقالات هذا الدجال.

وتأمل قوله : « وما تضمنه تفسيرها مما لم يحوِّم حوله أحد من المفسرين على اختلاف أساليبهم في الكتابة » فهو دليل على هذا الفهم الجديد للإسلام الذي كان حسن البنا يسميه : « إسلام الإخوان المسلمين » كما في كتاب " التربية الإسلامية ومدرسة حسن البنا للقرضاوي (ص / 27).

بين دليل الحدث ودليل التمكين

ويقول سيّد قطب بسبب هذا الفهم الجديد للإسلام: « يجب أن يكون مفهوماً لأصحاب الدعوة الإسلامية أنّهم حين يدعون الناس لإعادة إنشاء هذا الدين؛ يجب أن يدعوهم أولاً إلى اعتناق العقيدة؛ حتى لو كانوا يدعون أنفسهم مسلمين، وتشهد لهم شهادات الميلاد أنهم مسلمون » في ظلال القرآن (1011 / 2).

ويقول سيّد قطب أيضاً مُبيّناً وجوب إعادة غسل عقول المسلمين من جديد بعقيدة التمكين التي يُسمّيها " العقيدة الإسلامية ": « نحن ندعوا إلى استئناف الحياة حياة إسلامية، في مجتمع مسلم تحكمه العقيدة الإسلامية، ونحن نعلم أنّ الحياة الإسلامية على هذا النحو قد توقفت منذ فترة طويلة في جميع أنحاء الأرض، وإنّ وجود الإسلام ذاته توقّف » العدالة الاجتماعية بواسطة كتاب الخطوط العريضة للجماعة الإخوان (ص / 164).

ولذلك لا تجد فيمن سبق ظهوره ظهور الأفغاني أو لم يتأثر به - وما أكثر المتأثرين به للأسف بحسن نية - عنده هذا الخلل العقدي في قضية التمكين.

وسبب فساد هاته الطريقة في التمكين أنها مبنية على أصل خطير هو : أن التعامل مع ولي الأمر مبني على العداوة والتنافر والغل والحقّد بسبب جلوسه على الكرسي، والانتظار والترصد لتغييره بشتى الوسائل، ولذلك قال حسن البنا عن الملك فاروق: (لا يسعنا إلا أن نقول لمثل هؤلاء، ونوجه إلى كل آثم منهم: { تمتع بكفرك قليلا إنك من أصحاب النار }) الإخوان بين عهدين لفتحي العسال (ص / 107)، يعني : تمتع بكرسيك قليلا فإننا سننقلب عليك عاجلا أم آجلا؛ وبالفعل تمّ الانقلاب على الملك فاروق من طرف الضباط الأحرار، بمساعدة الإخوان المفلسين برئاسة حسن البنا، قبل أن ينقلب قائد الضباط الأحرار جمال عبد الناصر على الإخوان ويعاديهم.

والصواب هنا : أن التمكين في الأرض يتطلّب التعاون بين الراعي والرعية في المعروف؛ لأن مصالح البشر لا تقوم إلا بالتعاون بينهم؛ قال " إمام التحقيق في مسائل العقيدة " شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله

بين دليل الحدوث ودليل التمكين

- : « وكل بني آدم لا تتم مصلحتهم لا في الدنيا ولا في الآخرة إلا بالاجتماع والتعاون والتناصر ، فالتعاون والتناصر على جلب منافعهم ، والتناصر لدفع مضارهم ، ولهذا يقال : الإنسان مدني بطبعه ، فإذا اجتمعوا فلا بد لهم من أمور يفعلونها يحتلبون بها المصلحة ، وأمور يجتنونها لما فيها من المفسدة ، ويكونون مطيعين للأمر بتلك المقاصد والناهي عن تلك المفاصد ، فجميع بني آدم لا بد لهم من طائفة أمر وناه ، فمن لم يكن من أهل الكتب الإلهية ولا من أهل دين فإنهم يطيعون ملوكهم فيما يرون أنه يعود بمصالح دنياهم ، مصيبين تارة ومخطئين تارة ». قاعدة في الحسبة (ص 8).

وقال الإمام عبد العزيز ابن باز: « إذا لم توجد محاكم شرعية، فالنصيحة فقط، النصيحة لولاة الأمور وتوجيههم للخير، والتعاون معهم حتى يحكموا شرع الله... يُتعاون مع ولاة الأمور بالتي هي أحسن حتى يحكموا شرع الله في عباد الله، وإلا فواجهه النصح، وواجهه التوجيه إلى الخير، وواجهه إنكار المنكر بالتي هي أحسن، هذا هو واجبه، قال الله تعالى: { فاتقوا الله ما استطعتم } « مجموع فتاوى ورسائل الشيخ ابن باز (8 / 207) ».

وكذلك يظهر عند هؤلاء نظرية " المدينة الفاضلة " الأفلاطونية، نسبة إلى " أفلاطون اليوناني "، وهي في حقيقتها تقوم على إلغاء عقيدة الولاء والبراء، والرجل الفاضل معناه الذي لا يبغض أحدا، وإنما يحب جميع الناس، وأظهر صورها هي عقيدة " وحدة الوجود " التي تجعل اليهودي والنصراني والمسلم والوثني وغيرهم شيئا واحدا، وهي أصلا قائمة على عقيدة الجبر ونفي الأسباب، وأن الكل منفعل وجودي لا مؤثر تابع لمشئة الله سبحانه، وأن كفر الكافر وإيمان المؤمن مرادٌ قدرا ومرادٌ شرعا.

وهذا هو الذي جعل " سيد قطب " يقول؛ كما في كتابه معركة الإسلام والرأسمالية (ص / 61) : « إن الإسلام يصوغ من الشيوعية والمسيحية معاً مزيجاً كاملاً يتضمن أهدافهما ويزيد عليهما بالتناسق والاعتدال »؛ لأن الشيوعية ديانة مساواة لسعادة العالم، والنصرانية ديانة روحية رهبانية تتخذ الغنوصية منطلقاً لها.

وبها يصرّح الإخوانية أن صراعهم مع اليهود ليس عقدياً، بل من أجل الأرض، وتجدهم يتساحون مع

بين دليل الحدوث ودليل التمكين

الرافضي والقبوري والجهمي والنصراني وغيرهم، بل ربما يثني بعضهم على الوثنيين؛ كما أثنى " سيد قطب " على الهندوكية.

قال زعيم الإخوانية حسن البنا الساعاتي : « ليست حركتنا موجهة ضد عقيدة من العقائد، أو دين من الأديان، أو طائفة من الطوائف » قافلة الإخوان للسيسي (1 / 211).

ومما أثر عن حسن البنا قوله : « سنقاتل الناس بالحب » التربية السياسية عند حسن البنا للقرضاوي (ص / 107).

وهذا كله من آثار وحدة الوجود الصوفية، فهي المنبع الأساس لجميع الدعوات إلى إسقاط الولاء والبراء، وهي التي يسميها ابن عربي الحاتمي الصوفي "ديانة الحب"، ومن يريد إسقاط البراء من المبتدعة وبغضهم ففيه شعبة من وحدة الوجود.

وغالب ما عند الإخوانية من أدلة هي استغلال " العواطف الروحية " في تجميع الأتباع وربطهم بالغاية التي يبشرون بها مما يجعل الروح تسعد كلما تذكرت الغاية، ولذلك يقولون : « إن أسعد أيام المرء يوم أن يصل للتمكين »، ويجعلونها مرحلة نهاية التكليف؛ لأن التكليف قبلها جاءت من أجلها، فإذا حصل " التمكين " انتهى التكليف.

قال الإخواني زعيم المربين عندهم عبد الله ناصح علوان السوري: « والسعي إلى إقامة حكم الله في الأرض، غاية الغايات » كتاب تربية الأولاد في الإسلام (ص / 13).

ويقصدون بـ : " إقامة حكم الله "؛ وصولهم للسلطة، لأن الحكم لله هو أن يحكم الطائفة المختارة بالعناية الإلهية "الإخوان المسلمون"، وقد كتب يوسف القرضاوي كتابا بعنوان " الحل الإسلامي فريضة وضرورة "، ويعني بالإسلامي: الإخواني.

بين دليل الحدوث ودليل التمكين

وهاته الفريضة المزعومة عندهم فكرة باطنية في القلوب تتطلب التجسيد على الواقع، ولذلك يسمونها " الفريضة الغائبة "، ووضعوا لذلك قاعدة : « تمكين الباطن أصل لتمكين الظاهر، وتمكين الظاهر فرع عن تمكين الباطن ». ويرونها كما يقول القرضاوي - بكلّ باطنية - : « أرأيت إلى الأرض الخاشعة الهامدة، ينزل عليها الماء، فتهتز وتربو وتحيا بعد موتها، وتنبت من كل زوج بهيج : كذلك كانت الأمة الإسلامية في منتصف القرن الرابع هجري، وقبل ظهور دعوة الإخوان المسلمين « التربية الإسلامية ومدرسة حسن البنات (ص / 3) ».

ويجعلون هاته الطريق طويلة وشاقة مثل مراتب الولاية عند الصوفية ومقاماتها التي يعدّونها بالمئات، ولا سبيل إلى ذلك إلا بتربية الأجيال على عقيدة " التمكين "؛ وفي ذلك يقول القرضاوي : « وكان إمام الجماعة حسن البنات يعلم أن طريق التربية بعيدة الشقّة، طويلة المراحل، كثيرة المشاق، ولا يصبر على طولها إلا القليل من الناس من أولي العزم « التربية الإسلامية ومدرسة حسن البنات (ص / 4) ».

ولذلك كان أهمّ ما عند الإخوان هو العناية التامة بتلك التربية للأجيال، وأن " التمكين " لا يكون إلا عن طريقها، يقول يوسف القرضاوي : « كانت تربية هذا المسلم هي المهمة الأولى لحركة الإخوان؛ لأنه هو وحده أساس التغيير، ومحور الإصلاح والإصلاح، ولا أمل في استئناف حياة إسلامية، أو قيام دولة إسلامية، أو تطبيق قوانين إسلامية، بغيره « التربية الإسلامية ومدرسة حسن البنات (ص / 7) ».

ويقول القرضاوي أيضا: « السرّ في كل كفاح ناجح يكمن أولّ ما يكمن في تلك التهيئة النفسية، والتعبئة الشعورية، والتربية الأخلاقية، التي تغير الأفراد؛ فتغيّر بها المجتمعات من حال إلى حال « نفس المصدر السابق (ص / 32) ».

ويجعل الإخوان الثبات على عقيدة " التمكين " هو الثبات الذي تدلّ عليه الأدلة الشرعية؛ لأن " التمكين " هو الإيمان، يقول حسن البنات : « وأريد بالثبات أن يظل الأخ عاملا مجاهدا في سبيل غايته مهما بعدت المدة، وتطاولت السنوات والأعوام، حتى يلتقي الله على ذلك « نفس المصدر السابق (ص / 34) ».

بين دليل الحدث ودليل التمكين

وكما جعل المتكلمون والفلاسفة " دليل الحدث " الدليل الوحيد للخوض فيما وراء الطبيعة، جعل الإخوان المسلمون جماعتهم هي الجماعة الوحيدة التي يجب على المسلم أن ينتسب إليها لنصرة الإسلام، والإسلام لا ينصره إلا الإخوان؛ قال الإخواني الصوفي سعيد حوى : « المسلمون ليس أممهم إلا فكر الأستاذ البنا إذا ما أرادوا الانطلاق الصحيح » دروس في العمل الإسلامي (ص / 19).

وقال الماسوني الإخواني حسن الهضيبي المرشد الثاني بعد البنا: « دعوة الإخوان هي لا غيرها: الملاذ والإنقاذ والخلاص، وعلى الإخوان أن يتمسكوا بها ولا يشركوا بها شيئا » قافلة الإخوان للسياسي (ص / 289).

فمن أين جاء هذا الخلل العقدي !!؟

الجواب: جاء هذا الخلل من عقيدة : أن الدنيا هي دار الجزاء على الأعمال صالحة كانت أو سيئة، لا أن الدار الآخرة هي دار الجزاء، وهذه عقيدة اليهود، وحَدَمَهم من الماسون، وهذا كله بسبب الحرص على الدنيا الزائلة؛ فحتى عباداتهم وتقرباتهم هي لحطام الدنيا وعاجلها؛ قال الله تعالى عن اليهود : { ولتجدنهم أحرص الناس على حياة }.

قال الباحثون في العقائد والأديان : « ومن نظر أدنى نظرة في كتاب اليهود : التوراة والكتب الملحقة بها؛ يجد أن الوعود الواردة فيه مقابل الأعمال الصالحة والإيمان بالله؛ تدور حول المتعة الدنيوية من انتصار على الأعداء وكثرة الأولاد وغناء الزرع، إلى غير ذلك، كذلك الوعيد الوارد على المعاصي والكفر كله يدور حول انتصار الأعداء عليهم وسبي ذراريهم وموت زرعهم ومواشيهم، إلى غير ذلك من العقوبات الدنيوية؛ مما يدل على عدم إيمانهم باليوم الآخر - حسب التوراة والكتب الملحقة بها - . » بنو إسرائيل في القرآن الكريم (ص / 141 - 143)، اليهودية واليهود، عليّ وفي (ص / 49 - 50)، اليهودية، أحمد شلبي (ص / 195) نقلا عن كتاب : دراسات في اليهودية والنصرانية لسعود بن عبد العزيز الخلف (ص / 98).

بين دليل الحدوث ودليل التمكين

وهي عقيدة من قبلهم من الهندوسية والبوذية وغيرهم من التناسخية؛ قال الدكتور عبد القادر عطا صوفي عن عقيدة التناسخ: « أول من قال بها أصحاب الديانات الهندية الوضعية؛ كالهندوسية والبوذية، الذين ينكرون البعث بعد الموت، والجزاء والحساب في الآخرة جملة وتفصيلا، ويقولون بوجود الجزاء والحساب على الأعمال من خير وشر في دار الدنيا، لا في الآخرة » أثر الملل والنحل القديمة لعبد القادر عطا صوفي (ص / 69 مجلة الجامعة الإسلامية عدد 125).

فكأن من يوجب التمكين على الله شابه التناسخية في قوله بتوريث الجيل القادم لأعمال الجيل الذي قبله من الصالحات، ويتجلى هذا في وصولهم للكرسي، والجيل الذي فرط في تربية الجيل الذي بعده يجعله يُحرم من وراثة التمكين؛ ولذلك تجد الإخوان المفلسين دائما يتكلمون عن تربية الأجيال، والإعداد التام والشامل للجيل الذي سيحكم، ولهم في ذلك مئات المؤلفات والجهود في ترسيخ هاته الفكرة؛ ولذلك يقولون كما سمعناه من كثير منهم: « لا بأس بالتضحية بجيل من الأجيال حتى تسعد الأجيال الأخرى ».

وهذا السعي المخالف للشرع في السعي نحو التمكين أدى إلى فساد عريض في العقيدة والأخلاق وجميع الجوانب؛ لأنه صراع لقدر الله سبحانه، والله سبحانه يفعل ما يشاء بحكمة بالغة - خلاف عقيدة الجبرية والأشعرية -، ولا أحد يوجب عليه - خلاف عقيدة القدرية والمعتزلة القائلين بوجود فعل الأصلح ووجوب اللطف على الله - أن يملك فلانا في الدنيا لكونه عمل الصالحات؛ أو يمنع فلانا من متاع الدنيا لكونه عمل السيئات، وهذا الصراع مع القدر أدى بحسن البنا إلى القول بباقعة عقدية هي: أن التعامل مع قدر الله سبحانه يكون بمكر وخبث واستغلاله لصالح الإخوان المفلسين؛ قال حسن البنا: « لا تصادموا نواميس الكون فإنها غالبة، ولكن غالبوها، واستخدموها، وحولوا تيارها، واستعينوا ببعضها على بعض » الرسائل (ص / 161).

وفيلسوف الإخواني صلاح الراشد هذه الباقعة في الصراع مع القدر للوصول إلى الكرسي بطابع التنمية البشرية المهاريشية قائلا: (كن رقيقا لطيفا في مداعبة القدر، تودّد له، إن القدر يتفاعل مع العقل على المستوى العالي) قانون الجذب (ص / 133).

بين دليل الحدوث ودليل التمكين

وهذا الصراع مع القدر أدى بكثير ممن سلكوا منهج الإخوان بعد فشلهم في الوصول إلى التمكين =
الكرسي إلى ترك دينهم؛ فمن كان مستقيماً في ظاهره عاد إلى الفسق والفجور، وبعضهم صار علمانياً يطعن
في الدين، والعياذ بالله.

والصواب أن السعادة الحقيقية هي يوم يحط المرء رحله في الجنة، والدنيا الحقيرة من بدايتها إلى نهايتها دار
ابتلاء لا يقرّ لها قرارٌ، وأن جميع المجاهدات في الدنيا إنما يراد بها النجاة في الدار الآخرة، وأن الثبات
الحقيقي هو الثبات على التوحيد والسنة قبل التمكين، وبعد التمكين - إن حصل بمشيئة الله -، وأن
الشوق الحقيقي يكون إلى لقاء الله ورؤيته وسبحانه وتعالى.

يقول الإمام ابن القيم مبيناً أن أهمّ حسنة معجلة للمرء هي الثبات على الدين الحق: « فالإحسان له جزاء
معجل ولا بد، والإساءة لها جزاء معجل ولا بد، ولو لم يكن إلا ما يجازى به المحسن من انشراح صدره
وانفساح قلبه وسروره ولذته بمعاملة ربه - عز وجل - وطاعته وذكره ونعيم روحه بمحبته؛ لكفى » الوابل
الصيب (ص / 69).

نسأل الله السلامة

عبد الصمد بن أحمد السلمي
الأربعاء 23 رجب 1439 هـ